عباس بيضون

بطاقة لشخصين

شعر

الساقي

عباس بيضون

بطاقة لشخصين

الحبْل

بكان يريد
بلا أمل
أن يبقى في بال الباب أو المنضدة
يفتقد كتبه
التي يحافظ عليها جديدة
ولا يخاف أن يكتب
على ورق مصقول
أو طاولة ملمعة
حيث لا ذرّة غبار
ولا بصمة واحده
يجلس بهيئة بوذا مقطّب
متخذاً سحنة العجوز الماكر
ليرفع عن كاهله أي عبء
وليصل بلا معاناة
تاركاً الأشياء تنضج قبل أوانها
بدون مشي مؤلم في الزمن
وبلا امتحان نار وحقيقة باطلين
الشيخوخة كذبة على الموت
الذي لن يجد في انتظاره
سوى الجدار
إذ من يلقون بأنفسهم إلى المياه
يخدعون السفن
أو يصلون قبلها
هكذا نشرب البحر
أو ندخل في فك القدر
بدون الانتظار السقيم
لمرور الحوت الأزرق
أو تمضية الشباب
في تنظيف البراكين
بدون الدخول البطيء
في تجربة الحديد الحامي
والرغبة المجلودة

الشيخوخة كذبة على الموت
والذين يتظاهرون بالسن يعرفون
أن الحياة لم تعد حَبْلاً
وأنهم بها أو بدونها
يستطيعون أن يتابعوا
لن يصدق أحد
أنهم بلا دماء ولا صدور
قادرون على أن يقفزوا
بدون حراك
يحطمون أشياء جليلة
يكفي أن يتظاهروا بالحَبْل خارج السور
يكفي أن يكون العمى
لعبتهم المفضّلة
«بسّام» الذي كان يؤلّف الجُمل التي يريدها
بأي حرف كان
وبأول كلمة تخطر
ظل يقول: حين لا أكون موجوداً
الكلمة التي لا تحتاج إلى وجودي
حين لا يكون هناك كلمات أصلاً
يكفي طائر من ورق
أو مجرّد شكل فراغي
لهبوط طائر
يمكن أن نضع تفاحة مكان اللّه
X مكان قلب
حجراً مكان رأس
يمكن الكتابة بطرف العين
أو بالنَّفَس الذي لا تُسمع فيه كلمة
أو كتابة كلمة لا جواب لها
إلا الموت.

بطاقة لشخصين

القطارات لا تخيف لكننا نظلّ نفكّر بأن لها ماضياً مع الحيوانات المفترسة وتجارة العبيد. أنّها لم تصل إلى هذا الضبط إلا بالعسف. وأنّها لا تزال تجرّ طولها المؤلم بحثاً عن نهاية هاربة. إذذاك يمكن للخط الحديدي أن يختفي كعلامة رق لم تعد لازمة.

نظلّ نفكّر بأن فنّها لم يتقدّم. أنّها تزداد شبهاً بالأقفاص وتبدو هي نفسها مكبلة مهجورة في أرض المحطات. يلازمنا الشعور بأننا لا نكون أبداً في حجمنا فيها، لنا القاع نفسه الذي لحقائبنا. الضيق يجعلنا نصدع للأمر فيما يشكل السقف والجدران القاسية قانوناً. ذلك لن يصمد أمام المسافة التي لا يتوقف فيها القطار عن التمدد. تبتلعه السرعة والمدى فلا يبقى سوى طول مؤلم يصفر بلا انقطاع وينمو بلا حياة كشعور الموتى. إذذاك نختفي نحن في البعد الواحد، بدون أن نتحرّر ولا يبقى على الحائط الواحد أي شيء.

*

يسلموننا أرقاماً متسلسلة، البطاقة لشخصين ومعها يمكن أن نستدعي شخصاً واحداً، سيكون في الغالب مفقوداً.

تنزّ من يومين أو ثلاثة في باريس ولن تتوقف إلى أن لا تبقى روح واحدة في الشارع وتمتلئ المحطات بالموتى. الأرواح أيضاً محصورة وتطير بثقل. ربما لهذا نرتطم بها أو نشعر بأن الكآبة والبرد يزنان في رئاتنا وأننا نزفر هواء ثخيناً.

*

تنزّ من يومين أو ثلاثة في باريس والهواء، أزرق تماماً. الأرواح أيضاً قابلة للتكسر أو أنها تشف في الزجاج، ويمكن، بلا خوف، أن نرحل سوية في الجو المبلل نفسه.

البلل يسوقها إلى المحطات، وببطاقة لشخصين يمكن أن نستدعي واحداً

سيكلف هذا أكثر من خاطرة. سيتطلب رقماً متسلسلاً وتذكرة فالمراقبون يعرفون، أن لا بدّ من ميت، ليساعدنا على اجتياز هذه المنطقة الخالية من الريح. لا بدّ منه لنستطيع القفز معاً إلى البعد الواحد والرجوع بعد لحظة اختفاء كاملة. نعود مبللين أو غائمين. هذا ما يجعلنا، بسهولة الرادارات، قادرين على أن نلتقط هذه الكائنات التي تقع مع النز الخفيف. ولا نعرف من أين جاءتنا.

*

نسافر مع كتاب. إنه يقول إن التحضير للموت يتطلب وقتاً أطول من الحياة. الموتى يفضّلون أن يسافروا في كتاب.

تنزّ من يومين والهواء أزرق والزجاج يحملهم إلينا. لن نحتاج إلى زرع مؤلم لهم في

أجسادنا، لا إلى تمزيق الجلد ولا عملية التحوّل المؤلمة. لن يخرجوا. سنكون اختفينا قبلهم وسيتمّ ذلك بقفزة واحدة. سنكون معاً سوّاحاً تحت المطر. سنحملهم كالعصافير على أكتافنا. سيكون (ب.ح) في عيني اليسرى. سنرى أشجاراً تتفرق وتجتمع بدون أي ذكريات مربكة، وبدون الحذر من الفراغات التي ملأت صداقتنا. فنحن هنا لم نذنب وسيكون أسهل علينا أن نردّ المفتاح، الذي لم نستطعه، إلى العالم.

بوذا

شاب عمره مئة عام
قرأ عن القرد ذي القفزة الطويلة
الذي بواحدة يجتاز جزائر ومدناً
وبالطبع لا ينظر إلى أسفل
يريد فقط أن ينتقل فحسب
أن يكون كل لحظة في مكان آخر
مزيداً من المسافات ولا يهمه أن يعرف
أين ولا ماذا يوجد هناك
كان يطوي العالم بدون أن يراه
في النهاية لم يبقَ أمامه شيء ولا مسافة
بلغ آخر العالم
ولم يجد بشراً ولا حيواناً ولا حتى مكاناً
لم يجد نهاية
كان بلغ الخلاء الكامل
ولم يعد أمام القرد ذي القفزة الطويلة
إلا أن يجعل نفسه بوذا
ويجلس على العرش

*

شاب عمره مئة عام
لم يكن ذا قفزة طويلة ولا قرداً عجائبياً
كان بالعكس يكره الخروج
يمضي أوقاته في الحجرة نفسها
كل يوم بالترتيب نفسه
لقد وصل بالتدريج إلى هذا الكمال
ولا بدّ أن هذه هي الشيفرة الصحيحة
وأي تغيير سيقلب حظه
ويجعله عرضة للتهديد
لذا كان من مكانه
يقفز عن كل رغبة مخالفة
أو تجربة طنانة
عن طفولة بقيت في الكيس

وفؤاد مشطور
عن حياة آخرين
لم يحسنوا المشي على الجدران
كان يقفز قبل أن تصبح الحياة جَبَلاً
وقبل أن يتعسر عليه حمل مكتبته
ونقل بيته على ظهره
كان يقفز عن بضع سنوات
وأحياناً عن عقود كاملة
يقفز ويقفز
وفي النهاية يصل إلى مكتبه فقط
وليس هذا آخر العالم
لقد قطع مئة عام ووصل شاباً
تجاوز كل التجارب بدون أن يعيشها
إنها حياته كاملة لم تمس
لكنها تخشبت من قلّة الاستعمال
هذه التضحية بدون مقابل
تستحق إلهاً
الشباب الذي يدوم طويلاً
هو نصف السلطة
نصف الموهبة
النصف الذي يحز على الإصبع
وأحياناً على العنق
وهو أحياناً نصف الوجه المقلوب
الذي يمكن أن يكون
لأخناتون
أو بوذا
مُنَصِّبيْن على المكتب

اليد

لم يخطئ طلقة واحدة بينما لم أصب أنا في أي مرة. تذكرت أنه أمضى صيفاً في معسكر تدريب. مع ذلك أعاد البندقية إلى بيار. لم يكن يحب البرية ولا العصافير وخصوصاً البنادق.

كان يصيب لأنه لا يستطيع أن يفعل العكس. حين تملك يدين قادرتين فإنك تستطيع أن تتكلم وأن ترقص وأن تغازل وتستطيع أيضاً أن تخاصم وأن تقتل. اليد سعيدة لأنها لا تعرف الحيرة ولا تقدر على اليأس وبالضبط لا تستطيع أن تتوقف. هذه هي المشكلة، فمن لا يستطيع أن يتوقف لا يعود حراً ويفقد قراره وربما يفتك بأي شيء، وفي مرحلة لاحقة لن يجد سوى نفسه ليدمّرها.

اليد تشبهنا كشقيقة توأم لكنها يمكن أن تكون أيضاً مسخاً بشرياً. إنها تشبهنا ويمكن أن نقيم فيها. أن نوجد على شكل قبضة مضمومة أو أصابع لاهية، ويمكن أن نغتر بهذه السعادة، بدون أن ننتبه إلى أنها تجعلنا نفكر بأن نلوي أعناقاً.

لم يكن ب بحاجة إلى أن يصيب وفي الحقيقة ليس لديه ما يصيبه. كان يصل بدون أن يتحرك أو بطرق أخرى. انسحب من عالم الأيدي المتشابكة أو المتضامنة أو المتصارعة. لم يجد نفسه في هذه التقاطعات.

كان يعرف أن اليد هي إنساننا الصغير ومن الجميل أن نولد كأيدٍ في حياة ثانية، لكن لم يملك قلباً لهاتين اليدين. وفي لحظة رآهما كفأسين محتملين وخاف منهما على نفسه. لذا كان يطويهما كما يفعل طائر عاجز عن الطيران ويتوقف عن استعمالهما. يتركهما أحياناً تلهوان لكن رشاقتهما لم تعد تخدع، وتلك المحاولة لتقليده أو إعادته شاباً أو ولداً لم تعد تؤثر

كان يفضّل أن يعيش في رأسه حيث يمكنه أن لا يفكر. في قلبه وكبده وحتى في عموده الفقري بعيداً عن تعريشة الأيدي المتشابكة المتضامنة في الشارع، أو أكياس القفّازات الجماعية

كان حياً أكثر في قاموس للمهن وحتى في دليل للهاتف، حيث شبكات اللاشيء.

كان سعيداً حين يبتلع التاريخ العائلي لكلمة، أو يعرف عن أشخاص لم يكونوا في الواقع سوى قواميس

كانت هنا حياة أخرى ولا تحتاج إلى أكثر من فهرسة صحيحة وترتيب مقبول. كان شعره ينوفر ويسيل بدون أن يعني ذلك سوى أن وجوده يزداد قشاً. يا للسهولة، يا للوفرة التي لا تحتاج إلى أي قوة

كان فقط يجلس، وبيدين غير موجودتين يرفع الكأس ويرشف، ببطء، الزوال.

خلاصات

هل علينا أن نؤمن
بأن الأحذية المستعملة وعلب الدواء
هي حقاً ذكريات وأنها تظل كذلك
بعد أن شاهدناها مركومة في الصناديق
أم نصدق أنها تبقى نفسها
بعد أن انتقلت في ثلاثة منازل
وتخلصوا في كل مرة من الأثاث
مع ذلك تنبغي العودة إلى البيت
وبذلك القلب الصافر كالمنفاخ لن تصل
إلى الطابق الرابع. بهذا السرطان
ستضطر إلى الزحف. ستنتظر برهة
إلى أن يكون الصفير تحرر أخيراً. إلى أن يكون الحفار
القوي أنهى شغله. الصناديق مهيأة
للعودة لكن الرئة جعبة من القناني
والطبيب يشير إلى تاريخ قديم، منذ غدا القلب ضيقاً كالحذاء، منذ غدت الجرذان
تهاجم الرئات.

*

الصناديق مهيأة للعودة، لكن المرور صعب
بين الخد المتحجر والرأس المتحول
إلى رنين مغناطيسي. إننا في الثقل
الموازي والصدر قفص كبير نسمع منه فقط
خشة الجرذان التي تغادر. سيكون البيت
مهيأً لكن جداراً خامساً
وقع

*

مع ذلك علينا أن ننتظر فالذكريات
تستهلك كما يستهلك الدم والدواء، والمرض
يتقدم أكثر فيها. ستكون هناك ملقاة
بلا آذان ولا عيون، نحيلة ممروضة
ولا بد أن السرطان أثر في وجوهها.

*

سنجد فقط ما يهمنا، قلوباً ووصلات بلاستيكية
صالحة لوقت طويل، خلاصات للصور
وكثيراً من الصور الشعاعية. أما الذي يبقى
في قاع الصندوق فكوستيمات أطفال
لن يتقدم أحد لأخذها. كبر اللاعبون
ومن الأفضل تسليم الدمى
للأبدية.

شاب عمره مئة عام

شاب عمره مئة عام يصل مسرعاً للغاية، لكي لا يفوته شيء هذه المرة مما حدث من زمن لا يذكره، لكنه لا يجد أحداً

لا بد أنه أخطأ المكان، لكن الصورة التي لا تدل على شيء، إذا لم تكن له فلا بد أنه صار كذلك

صار كذلك لأننا جميعاً لم نكن أوفياء له وتركناه يهمل نفسه ويهملنا

لا بدّ أننا تأخرنا هذه المرة أيضاً فهنا يقاس الوقت بالسنوات وكل لحظة تأخير لن تكون أقل من عمر كامل.

مع ذلك لا نجد أثراً واحداً لا يمكن التشكيك به. حتى تلك الرسائل الممضية ليست مؤكدة. ثمة ذكريات طويلة لكنها تنقطع في مكان يصعب التثبت منه. إنها حكايات غير مكتملة، ولسبب ما باتت خالية من أي انطباع. لقد تعرّضت لشيء من الجفاف أو تخشّبت قليلاً. حتى الصور المشتركة لسنا متأكدين من أنفسنا فيها

في الواقع، نشك في أننا تلقينا رسائل مضادة أو أن ثمة فيروساً خرب تلك الشبكة، ومنذ ذلك الحين لا نصدق أن ذلك حدث.

القوارب التي تجري على الموج ونزهات الصيد والحلقات الحزبية، لا بدّ أنها تعرّضت جميعاً للمقص أو التلطيخ. لا بدّ أن سنوات مماثلة أثّرت في عبوس الصورة فهناك زمن ثخين تجمد فيها

شاب في عمر المئة. قد لا يكون هناك شباب على الإطلاق. ففي تاريخ ما، لن يعود هناك أي تقدّم. ليس أكثر من إعادة نظر وتعديلات لتقديم وثائق غير نهائية. وربما هو شباب يقسو ويستعصي ويجف على طول ألف عام.

تفاعل

يستيقظ ويبدأ فوراً في تعزيل كبده
من فطائس كثيره
تعزيل دمه من الحرائق أيضاً
وأذنه من ألفاظ مختنقه
يستيقظ نصف مؤكسد
ولا يعرف أي تفاعل ضرب رأسه
لا بدّ أنه خلط شرابين متضاربين
لا بدّ أنها حبة صغيرة كبسته بالكامل
بعد أن قلّصته إلى كبسولة بقدرها
إنه صمام مهترئ سرب غازاً كثيراً
إلى الداخل
وها قلبه يصفر
وجوده يصفر تماماً
مع أسلاك كثيرة مقطوعة حوله
لقد نام بدون أن يشعر
ذاب في الواقع سبع ساعات
أو سُرق تماماً
ولا يعرف ماذا فعلوا به
ليس أكيداً أنهم نشروا قفصه الصدري
ليس أكيداً أنهم وزنوا قلبه
وأعادوه مفتوحاً إلى مكانه
شرايين كثيرة لم يعيدوا وصلها
لا بدّ أنهم أخطأوا في مكان ما
متأكد من أنهم سيعودون ولن يصلحوا شيئاً
ستظل أشياء تتسرب
سيظل نصفه، على الأقلّ، في الظلام
سيظل مشروبان لعينان
يتصارعان على وجوده

*

كان عليه مع ذلك أن يوقف هذا التفريغ
من رأسه

أن يمنع تهريب الطاقة
أو نقل الحياة بمقادير صغيره
إلى الخارج
أن يزيل عن كبده أو لسانه
طبقة من النمال الميته
وكان عليه أولاً
أن يرفع أضلاعه
المتهاوية على الأرض
إذ يستيقظ وهو لا يزال ينقذ كتباً
من الغرق في الكحول
أو ينقذ نفسه من أن تختنق في الغاز
يبدّل الصمامات بأخرى أقوى إضاءه
فالبارحة أخذ يفكر بسرعة
أَحرقتها جميعاً
وقد تكون الكلمة التي قيلت بوضوح
وتعجب من بساطتها
أحرقت كل الأسلاك
مع ذلك لم يعرف إلى أين ذهب كل ذلك
إلا أن يكون، بطريقة ما،
في علب الأدوية
أو الدفاتر البيضاء
أو اثني عشر زوجاً من الأحذية
مصفوفة تحت السرير.

بقعة عرق

حين كنتَ تصل كل عصر
متباهياً بالعرق الذي نزفته من رياضتك
هل كنت تعلم أن هذا يثير حنق السيدة
وأنك كنت منذ ذلك الحين مكروهاً
لفرط ما بدوت راضياً عن نفسك

لم تفكر بالطبع بأن بقعة عرق لا تختلف عن لطخة شحم أو بقعة دم، وأن هذه الخلاصات غير مستحبة على الإطلاق.

لم تفهم أن الأجساد ليست بلا رائحة وأن للصداقة أيضاً أنفاً كبيراً.

هل كنت تظن وأنت تزفر تعبك على مهل بأن هذه السعادة ليست فوق طاقة الآخرين. لقد أنهكت عظامك وتجلدت ساعة تحت الشمس لتحظى بحمام سخيف وسط الجميع. جسمك يبرد على راحته لكنك وضعت ريبة خطيرة في القفص ولن تقدر أكثر على تنويمها.

أنت وحدك الآن أكثر مما أنت في السرير. ثمة عزلات كثيرة في هذا الجو، وإذا كان جلدك يتنفس بهدوء تحت قميصك فلأنك نجحت في أن تحصر نفسك بين خطوطه المقلّمة.

تتصبب عرقاً وتظن أنك هكذا توجد لأجلهم، أو أنك تحسن أن تتخلص من إفرازاتك بينهم. لم يخطر لك بالطبع أنهم يتندرون وأن نسياناتك صارت في الميدان. وربما لم يعد خرقك المتكرر معقولاً أو غير ملحوظ

القواعد تعود أحياناً مع شراء كرسي أنيق، فمن يملك أثاثاً جميلاً لا يحتاج حقاً إلى ذكريات

للصداقة أحياناً فم كبير. إنها بارعة وتعمل بسبع أياد لكنها تحب الكلام كثيراً وربما الاغتياب، والسنوات تزيل تحفظاتها. لا تحتاج إلى زهور ولا إلى اعترافات كالحب الذي يداري بذلك تعثّره الأصلي. لذا تنتهي على مهل أو تضيق كالحذاء على القدم. ليس لها مثل الحب عدوّ مساعد كالخيانة لذا يمرضها أصغر الأخطاء وأحياناً الملل نفسه. لن تحتاج إلى نهاية إذ تصعب أحياناً العودة إلى منازل نسيها أهلها، وقد تفكر أنها لم تكن أكثر من نوتة على مقطوعة أخرى، أو مصادقة على حياة لم تكن لنا

غضب

محشو غضباً
مع أن لا شيء في صدري
كل شعور توقف تقريباً
وكل غضب أيضاً
محشو باللاشيء
الذي يسد العيون
القلب قطعة واحدة مسطحة
ألم متجمد اندمل أثره
إنها جذور عالقة في سبات كبير
حيث يقال إن القدر مرّ
خاطفاً
حيث يقال إنه الوباء
نقله مسافرون من المطار
العالم هو المصاب
ولن يجدي
عذاب صغير لم يصل إلى الأنف
واختنق في الأذنين
ذكريات ممزقة تصل ممزقة
بعد أن أعادوا لصقها
في البريد
الصداقة تأتي متأخرة
وفي الحال تترك مقعدها
لراكب آخر متأخر
قد يكون التعب أو النسيان
ليس هناك كهرباء كافية
لتشغيل ذلك كله
ما من قلب كاف لتحضير ذلك كله
الداخل تخشب ويصعب اختراقه
إحساس حزين ويتم عزله
لا شيء أقرب من الغرق في جرعة واحدة

*

صاروا أسماء
وطالما تشبثنا بهم لكي يتمهلوا
صاروا أسماء

الوضوح

كان يجد بسهولة ما يريده. لديه من الجمل قدر ما لديه من الأفكار. أفكار قليلة لجمل قليلة، وبالتالي فإن تقليص الوجود إلى ذبابة مكبرة مرئية من كل الجهات لا يجتذب كثيرين. لن يعرف أحد كم علينا أن نطرد من الداخل لتبقى تلك الفقرة الوحيدة، ليبقى ذلك الحذاء السيد. لن يعرف أحد كم علينا أن نقتل أو نبيد لنصل إلى ذلك الوضوح

لن تكون الأمور جليّة بهذا المقدار إلا حين تكون نافذةً كقضيب في العظم أو كصمام بلاستيكي. ستكون هكذا قادرة على أن تصيب تماماً كالمرض أو الصدمة

إذذاك نفكر في الوساوس كمسامير في القدمين، ويمكن أن نفكر في الحب كعضلة نحتاج إلى الكثير لتثبيتها في الجسم، أو رداء يضيق بالتدريج. يمكن أن نتكلم عن برد في الدماغ أو فصل جليد في في القلب. بالدرجة نفسها نتكلم عن جرعة شبيهة بالغرق وعن سبات كحولي

ولا بأس فالكلام يتقطّع بالنبض، وحتى حين ينزف من الفم يمكن قياسه وتعديل سرعته كل لحظة

نمسك بلوح لكننا نجذف بانتظام ولا نقع إذا ظل الخطر متساوياً. إذا استمر الأرق في تبديد الظلمة، والخوف في تحطيم الشكوك. إذا عمل القلق كحفّار آليّ وضمن متوالية حسابية

ننظر من فوق رؤوس الأشجار ولا نعرف كم علينا أن نقطع منها، كذلك نطمر الينابيع ليكون الوضوح أجرد تماماً ومبسوطاً كالكفّ

يجد بسهولة ما يريده أو يطلب ما يجده، وأفهم الآن كيف عاش مرعوباً بين الحقائق الخامدة.

إنها رؤية التفاحة بخمسة أبعاد ما يجعلها تنتهي إلى أن تسد أعيننا أو رؤوسنا.

سيكون وجودنا ملحوظاً ونافراً إلى درجة لا تطاق. سيكون كل شيء مكشوفاً. كل شيء معدوماً، إذ مع نهاية الأسرار لن يكون هناك بعد أي أمل للحقيقة

تذكرون تلك الضجة التي ثارت ضد الوضوح. مغنّون وعشاق ورحالة فكروا أنهم، ربما، يتآمرون هكذا مع المجهول. كم كانت صعبة صناعة الأسئلة من حبال. بصماتهم الزائفة تكاثرت بطريقة سحرية واختفت بدون تفسير.

لقد عادوا بنصف كبد لكنهم لم يضحوا بكنزهم من القناني والخيبات

كثيرون خافوا من أن يجدوا أضلاعهم في البئر. من أن يفاجئهم عظم عارٍ يحدق في أعينهم

كثيرون خافوا من أن يقايضوا حياة كاملة بدقيقة من الوضوح.

أن لا يجدوا في حياة كاملة هذه الدقيقة

إنه رعب البقاء مشدوداً إلى عمود أو فكرة. ثمة تشويش يقابله تشويش كبير. مع ذلك لا مناص من أن نستخرج بالسكين، من الفقرات، تلك البلورة الزرقاء الميتة تماماً والتي تفسّر نفسها، أو المثلث العظمي الذي يساوي نفسه.

مع أن الألم ليس حقيقة، فإننا لا بدّ أن نبدأ بهذا الفك المشدود. أن نقيس ذلك بالمشرط. لا بدّ من الصعود إلى الغرف الجليدية

يكفي أن نغمض أعيننا عن العالم حتى نتسبب أو نشارك في إبادة كاملة. الوضوح نوع من الإماتة. إنه الصالة التي تعمل فيها الوساوس بأفواه عنكبوتية ويخمد الرعب في جدار الفلين.

ثمة مصباح لطرد الأحلام. هناك ذلك الأرق الإغريقي الشامل

أما الذكريات فتعمِّر طويلاً بسبب الكساد الذي عمّ. هكذا ندفع للنهايات ثمناً أقل

ما يُسرق من الألبومات يسبب هذا العدد من الفراغات. هكذا تتقطع صداقات ويمكن بسهولة العودة إلى الجرح الأول

أما الجميع فينزلون من الجبل ولا أحد يبكي

نزهة

نحتاج إلى قطار حتى لحمل روح
ليس لدى الموتى وسيلة أسرع
أتذكر كيف كنت تجرجر قدميك إلى البوابة
لتدخن
كم تعبنا قبل أن نصل إلى السوبرماركت
لشراء قنينتين
هل ما زالتا ثقيلتين في الأبدية
أردتهما أن تحملاك فقط إلى هناك
فمع الوقت فقدت أسباب الخروج
أو ربما كنت تفضّلهما كذلك
متظاهراً بالعجز
لتلهي أمراضك عن الاستمرار في العمل الفتاك
لم تشأ أن تبدد شيئاً في التجوال
فالحياة ليست عمل السوّاح أو جامعي الطوابع
أردت لفكرة واحدة أن تعيش
أردت أن تسير كما تفكر
وحيداً وواضحاً وهادئاً
أردت أن يبقى ذلك مفتوحاً ككتاب
أو أن يتقدم كمرض
أن يتكرر في جسدك أيضاً
الوجود الذي يتكثّف من سيجارة إلى سيجارة
ومن مخطوط إلى مخطوط
التجربة التي لا تحتاج إلى تجميع البطاقات
والحياة التي تحسب بالقناني

*

نحتاج إلى قطار حتى لحمل روح
لكني أحلم وأنا أشعر بقدمين ثقيلتين
ترفعان فكرة ثقيلة
وأقول إنها عاشت بفضلهما
إن لذلك وزناً ما
أحسّ به في صدري

لن تمرّ الشجرة بالسرعة نفسها
ولا الجسر
المطرقة التي في رأسي تبطّئ المشاهد
وتبطّئ القطار أيضاً
وحين نصل إلى بواتييه
لن يُحس اسكندر أننا اثنان
وأني أتعب في جرك
الكنيسة لن تكون مكانها
ولا المدينة
ولن نعرف أين نزلت الروح
ولا متى يتوقف القطار.

علب الصمت

يظل الكتاب يتشرب رطوبة ويبتلع غباراً طوال سنوات. إنه مليء بشيء غير الكلمات. ذلك ما لا نعيره انتباهاً

إذا كان للكتب وزن بالنسبة لنا فهو للنشارة التي صنعت منها. الكلمات لا تَزِنُ ولا توجد وليس لها جسم أو نَفْس بالطبع. لذا لا نعرف من نتهم حين نجد ورقتين ملتصقتين، ولا نفهم إذا كان هذا ذنب الكلمة أم ذنب الصفحة

لن يخطر أن الأوراق سايرت طبيعتها، وأن الغبار والرطوبة تفاعلا، وأن ثمة عناصر يمكن أن تؤدي إلى تآكل الأوراق واهترائها. سيكون عطباً كاملاً بالنسبة لنا أن تتوارى الكلمات، فيما أن الأمر لا يعدو أن الأوراق مارست مادتها على نحو كامل، وأن قدرتها الآن بدت أفضل بكثير

لن نفهم أن الكلمات لا تزال موجودة تحت الصفحات الملتصقة، وأنها الآن، أكثر من الأول، في حفظ وأمان. لن نصدق أن هذه هي حقيقة الكتب وحقيقة الكلمات، وأن أي اتفاق آخر ليس سوى بيننا وبين أنفسنا.

الكتب وهي تنطبق أو تتماس تتوصل إلى شكلها أو تحققه بالتدريج. فيما لم يكن للصفحات المنثورة المفتوحة من الجانبين أي شبيه حقيقي. انها عملية عظيمة وصعبة وينبغي أن تتم بقدر من الرصانة والجد، لذا لا تبدو الكتب في حال من التفكير كما تبدو خلالها. لها عندئذ وجوه مكشرة تصرّ طوال الوقت على أسنانها. إنها بين فكّي ملزمة تمضغ الغبار وستندغم كل صفحة باعتداء فعلي. هكذا يتم إخلاؤها من الرطوبة والهواء وكل علّة أخرى للحياة والفساد

أما الكلمات فستتعرض لحنق صامت وتنتثر كالنمال الميتة في انتظار أن تتحجر مع الوقت وتنطبع نهائياً في الداخل، هكذا تصل تقريباً إلى كمالها. ستتخذ أشكالاً ليست لها. ستنطبع على هياكل زهور وأعشاب وحشرات، وتخرج من محنة المعنى بهذا النحت الذي لن يكون أقل استغلاقاً.

ستكون هكذا إشارات هيروغليفية تتحطم حين نحاول فكّها أو التفكير فيها، تمائم للحظ والحب نحملها حين نفقد إيماننا بالحظ أو الحب. لقد ظلت تمضغ غباراً أو فراغاً، ونحن نصغي ولا نعلم أن هذا كان صوتها وهي تأكل من الصفحة والزمن. لم يكن مهماً سوى أن تنطبع نهائياً فيهما، سوى الفراغ الجامد، الفراغ الذي يزن وينطبق. إنها تخلد كأعشاب متبلرة في المادة التي تتكون، في الكتب التي تنغلق إلى الأبد متطلعة إلى القرون الجديدة. الكتب التي تتحول إلى علب للصمت.

حلم اثنين

اثنان يريان الحلم نفسه
ولا يهم
أن الثاني كان ميتاً
فالحلم مما يراه الموتى
مجرد سكتة كاملة
ومحاولة لإعادة الاتصال
لا وقوف على حافة جرف
أو سقوطاً من علو هائل
أتسلم فقط ملفاً كاملاً بأخطائي
أجد الكلمة الصحيحة التي فاتتني
الوقائع كما ينبغي أن تحدث
لو أني قصدت إلى الأشخاص المناسبين
لكن الندم لا يوجد في الأحلام
فهناك أيضاً يمكن الاختباء
ولا داعي للخوف فقد غادرت
الوحوش والأفاعي منذ زمن
يمكن أن تكلف بترتيب أغراض متنوعة
ليس بينها اثنان متشابهان
ويسعك الاستنجاد بميت واحد
لا يفعلون هذا كعقوبة
بل كتمرين على أن وضع حفار إلى جانب قلب
يمكن أن يغدو قانوناً
فبعملية طرح بسيطة
لن يبقى ما يكفي
لتكوين خطأ حقيقي
لكنك تفعل ذلك دائماً
هكذا تطرد الثعابين والأسود
وتحذف الهاويات والسراديب
كل هذا بمساعدة ميت
«لن يكون عليك أن توقظه»
ستفهم أنه في اللحظة التي انقطع فيها الاتصال
لم تعد هناك وديان خطرة

لم يعد أمام هذا الرأس
الجامد ككتلة من المغناطيس
والذي رفض كل الحقائق
أي فرق حقيقي
لن نجد بعد دهاليز ولا أدراجاً
سنمشي، بدون وحشة، على أرض فارغة
ولن نتلقى بعد رسائل متناقضة
سيكون كل شيء مساوياً لنا
لن يعيدوا لك قلبك سليماً
بعد أن شطروه في المرة الأولى
لكن حجراً في مكان أي شيء
سيكون صحيحاً في مكانه
ويكفي العالم

سآكل هذه الصفحات

سآكل هذه الصفحات. لن أتوقف حت أنهيها فما من طريقة ثانية لتصريفها. سأرسلها هكذا مباشرة إلى ضميري. سأجبرها على أن تدخل دمي.

سيقال إن هذه هي عاقبة الأدب التعيس الحظ. أن تبتلعه فعلاً مع جرعات كبيرة من البيرة وبعض التوابل. إذ سنصدق في النهاية أنه بحاجة إلى هذه الرحلة إلى الأعماق وإلى أن يتغذى من دم حقيقي

من الواضح أن الأمر سيكون مجرّد ضحك بريء على المجاز، لولا أن شيئاً يترتب على اللعب بكل قانون. سيشرب من اللعاب ويتمتع بكل العصارات، لكن العمود الذي أهين سيقلب اللعبة.

سيكون قلبك عندئذ في مؤخرتك. ستتحرر الأمعاء وتترقرق الرئتان من داخل العيون. هكذا فقط يمكن إنشاء داخل بثلاثة أشبار. لكنه عمق لا يخدع أحداً فحتى البئر في هذه الحالة سيكون طافياً وسطحياً.

*

سآكل هذه المخطوطة بعد أن أفرغ من تسويدها. وستتطلب وقتاً إلى أن أنتهي من تطرية الغلاف المقوى وجعله مريئاً. لو كان لقارئ هذا الصبر على الأغلفة الشهية لما ظل جمالها فوق وسائلنا

سأبتلع هذه المخطوطة بأجزائها التسعة، واحداً فواحداً، وكلاً بحسب ترتيبه. ستمر تحت أسناني ولساني وتمتزج بنفسي ولعابي. ستتحول إلى مادة ثخينة، تنعصر في جوفي حتى استخراج الزيت السحري وتحويله إلى دم وربما إلى روح، أو إلى معان تشرق مرة قبل أن تغيب.

لو كان للأفكار من يمضغها هكذا. لو أمكن ابتلاعها وتحويلها إلى غذاء أو كسرها كالنواة. لو أمكن استخراج عقار أو حتى سم منها. لو أمكن للمجهول أن يكون عضلة وللخفي أن يكون وريداً. لو استطعنا استخراج حقائقها وربما حفظها كصور. لو باتت الحقيقة طعاماً ملكياً وربما نفاية ملكية لما بقينا مع كلماتنا المكروهة، ولما أكلنا شيئاً ميتاً، وربما فاسداً، كهذه النصوص

*

سآكل هذه الصفحات. ما من طريقة ثانية لتصريفها. إنها تخطيطات لم تعد مفهومة لي وقد تغدو أحاجي مع الوقت. قد تكون حقائق أو ألغازاً وصلت، خطأً، إلى عالمنا. هناك من يرتابون في أنها تحوي مخدراً أو إشارات للعدو. هناك من يخشون أن تكون التقطت لعنة لم تبطلها الأيام، من يتوجسون أن تكون جذورها مسمومة، ومن يتوقعون أن تكون فراغاتها عميقة حتى القبور

سيكيدون لها بالتأكيد. لن يكتفوا بتفتيشها وتفليَتها بقدر من الازدراء، بل سيطلبون منها

أن ترقص وتطرب، وكل ما ليس في مقدورها أن تفعله. ولن يتركوها حتى تبدأ بالخجل من نفسها

سيقال إنها ذات نبض ضعيف. إنه السن أصابها بالعياء وتصلّب الشرايين. لا بدّ أن أعطاباً كهذه تنتقل إلى الكلام الذي يفلت أحياناً كسلس اللعاب أو يسطو كالنوم الفجائي. ستغدو مبلبلة كعقل مليء بالوساوس وستكون صورها ناضبة الدم. ستكون بلا مفاصل ونجد فيها أسناناً مخلعة وركباً مبرية. لن تكون فراغاتها سوى فواصل للنسيان. لا يهم ما تتظاهر به فهو التصابي. إنها تتجمل لكنها هكذا تسطو على أماكن آخرين وربما على أعمارهم، فكل يوم في هذا السن يكون زائداً ولن يفعل سوى إطالة عللها.

أيتها الصفحات العزيزة. أنا أعرف بماذا ملأتك. لا يهم ما عشناه بالنسبة إلى حياة كاملة، أفضل ما فيها يظل جديداً لكننا بالتأكيد نحطمه ونحن نسعى إلى كسر أقفاله. أولى ضرباتنا ستقع على تلك المرآة التي ظننا أننا سنظل فيها شباباً.

لن نحفل بتلك اللُعب الملائكية التي تحرك أجنحتها القصيرة، فأرواح الطفولة من ورق. لكننا في لفائف طويلة قد نجد القصص التامة التي صُنعت من أجلنا. ستكون لنا بمجرّد لمسها وستنتقل بهذه القوة إلى تاريخنا. سنعود من هناك كباراً صالحين بجباه بيضاء، فهذا البياض المديد وحده يمكن أن يساوي سيرة كاملة

*

أيتها الصفحات العزيزة لقد ملأتك باللاشيء الذي لم أصدق أنه يأسن وتصير له رائحة.

كانت هناك رياح كبيرة ولم تحفظ شيئاً. كان هناك مطر كثير ولم يسجل شيئاً. لا يهم ما عشناه بالنسبة إلى حياة كاملة

تركنا أعقاباً كثيرة. سيكتشفوننا بعد قرون. تركنا خطوات ستغدو، بعد حين، آثاراً. كانت هناك كروكيات وسنكون أجمل بدون أن تكتمل، أما الآن فإنها لا تكسونا بما يكفي. إنها فقط خطوط فوق أجسادنا. كانت رشيقة قبل أن نتألم من أناملنا. كان هناك حب قبل أن نصرخ من مفاصلنا. كان هناك غضب قبل أن تنفجر عضلة في الصدر. كانت هناك ذكريات قبل أن يندلع الصداع

هناك قصة تامة لكل واحد لكن القارئ الميت الكبير لم يحضر بعد. هناك وردة من سهام متعاكسة لكن القارئ الميت الكبير سيصحح كل شيء ويسلم كل منا قصته

لم يكن صدفة أننا أرسلناكَ باكراً لكن الصداقة بلا أخت. ولن نجد من أجلها شبيهاً ولا نقيضاً. وحدها ستكون بلا قصة، إنها ظلٌّ منفرد. ظلٌّ لنفسه ويسافر بدون ملاك الخيانة الذي يساعد المغرمين. عليها أن تنتصب وحدها وتختفي بدون أسف. لن يكون هناك بكاء لكن الموت يأتي متأخراً ويلوم الجميع

الأصدقاء الموتى يأتون لإنقاذنا، لكن في الساعة التي نكون ركمنا فيها كل شيء في الغرفة الجانبية، وتوقفنا عن جمع الذكريات

إنهم أرواح من ورق ولن يمكثوا طويلاً. أيها الرسول إلى متى تبقى أمامي. أيتها الصفحات

العزيزة أنا أعرف بماذا ملأتك

أمير الظلام

يستحسن أن نموت قليلاً مع الموتى
أن نتناوم ليرحلوا في غفلة منا
يستحسن أن لا نراهم وهم يتحولون
ويسلمون أنفسهم لأمير الظلام

*

نغمض أعيننا لكن لا مناص
إننا بدون أن نريد
نبصر في العتم
ونسير من غير عيون
لا نرى لكن الصمت يحجر المكان
لا نلمس لكن الدم يصير زجاجاً
لا نتقدّم لكننا تحت الأمر
نساوم على الرجل الذي ينازع
نسلمه للقدرة التي لا تطلب شيئاً
إذ لا يسود اللاشيء بدون أن يستحق جزاء
وهذه الساعة
لن تكون صنماً بلا ثمن

*

يستحسن أن لا ننظر إلى الموتى
نطردهم من الفكر لكنهم يعودون
إلى المكان نفسه، إنهم يحترمون المسافة
هكذا تجيب الريح الحقيقة، هكذا يجيب السكون
يبدأ القلق والتشنّج
وننهار على قاب شبرين منا
في الحجرة التي يصادف أنها أذن كبيرة
وأكبر بكثير من آذاننا
حدقة كبيرة وأكبر من حدقاتنا
إنها تخاف بخمسين ضعفاً أكثر مما نخاف
وتسمع برعب كوني
هكذا نسمع، ببوق، أنفسنا تساق إلى الإعدام

ونساوم على سرير القش
رمزاً لا يسمع
فيما التوسلات تدوي في كل مكان

*

يستحسن أن لا ننظر إلى الموتى
أن لا نراهم وهم يتحولون
أو يسلمون أنفسهم لأمير الظلام
إنه ينشب مغرفته في أعماقهم
ويحف منها ذبابة وجودهم
يحلق وجوههم وشعرهم وآذانهم
فلا يبقى سوى مثلث مغناطيسي
لا يبقى سوى السرطان
أو وجه المقص نفسه

*

يستحسن أن لا ننظر إليهم
وهم يساقون
بدون قلوب في جوفهم
إنهم مملوكون بالطبع
ويمكنهم أن يحولوا الدم زجاجاً
يمكنهم أن يبثوا اللاشيء في الأوردة
فبهذه الكراهية للحياة التي ركبتهم
يصوبون الصمت على الجميع
يزرعون حجراً في كل رأس
أو عقرباً في الخدين.

كأن لم يحصل شيء

منذ توفّي بسام وأنا لا أعرف كيف أُصرّف هذه المسألة. لا نتخلص من فكرة بطردها أو بتعذيبها إلى أن تنطق أو تطلق زفرة على الأقل. إذ لا نعرف الحكمة في أن يولد للألم طفل أبله أو يولد هو نفسه ميتاً

تنجب العواطف إعاقات كثيرة وتتولى المهدئات بعد ذلك توصيلها إلى شيخوخة عاقلة. تصل المصيبة أجزاء نتعب في تجميعها لكن أحدها يبقى مفقوداً. قدر مساو من الأنسولين والليتيوم يجعلها مقبولة، وتدخل هكذا، بدون قَدَمٍ، إلى حياتنا

يعيش الأسف نصف موسم. بعد ذلك يستمر الخريف بفضل الأجنحة التي تحتك في الجفاف، والصفير الذي لا يوضح شيئاً. هكذا يوزن، بدقة، الأسف والصمت والفكرة الفاقدة الوعي بمثاقيل مساوية من الدخان. مع ذلك يحدث أن تنبت أشواك غير مفهومة أو يهب فجأة غضب لا يلبث أن يخمد بنفخة واحدة. لم يفكر أحد في أن الجليد سيستمر فصلاً آخر، وأن الكلمة التي تفسر أو تعزي سقطت في فم الدخيل إلى الأبد

في الخارج نلتقي بأرواح وآلهة. نفتح عيناً أو أذناً كبيرة أو صدراً احتياطياً في الفضاء، تاركين الصامت الكبير في نومه والمطر يستمر خلفنا.

*

الواقع يعاد كما هو إلى الصناديق
حياة غير مستعملة تُشحن بدون أن تمس

*

لا أعرف ماذا حدث، كأن لم يحصل شيء
قفزنا فوق المسألة، وربما فوق الجسد نفسه
حين أمكن أن نفكر، فكرنا فقط فيما بعد
لم يحدث شيء. انتقلنا فقط إلى الفقرة التالية
نفي بسيط غير ملحوظ أنهى الموضوع
لم يتم ذلك بحنق ولا باغتيال ولا بأي اعتداء ظاهر
إنما بقلب جملة عادية، بقراءتها من آخرها
لم يحصل شيء بقينا في مقاعدنا، التي صارت ضيقة علينا
وناسبتنا كما يناسب الجورب القدم
حيطان وكلمات
لم نقرأها، قسنا بها انفصالنا
كانت فقط الذي لا يحصل وهو يسد كل الفراغات الممكنة
الذي لا يحصل

وهو لا يتقدم أو يتحرك
إذ لا حاجة بعد إلى واقع
وما من مجال لأي خيال على الإطلاق
الحجر الذي يسد النفس هو ذاته الذي يسد الضريح
الكلمات التي تسمّي الموت صارته تقريباً
لكن مع قليل من المجاز
ثمة عتبة في رأسي
عتبة في صدري
الحجر الذي يسد الفراغ يكبر
وأظنه أحياناً رأسي
ولا أعرف كيف أُصرّف هذا كله

الجريمة

يجدون دائماً بقعة حمراء في كل جريمة أو سترة مثقوبة، لكنها قد تكون مع ذلك بلا دم، أو يكون الدم بلا بقعة. قد لا يكون في المسألة كلها شيء أحمر أو أسود. مع ذلك لا تبقى الجريمة طويلاً في الدائرة الطباشيرية ويمكن أن تتحول إلى رقاقة بيضاء. لن يصدق أحد أنها تصغي من فوق. يحدث كثير من الفوضى على الأرض، لكن الجريمة ترتيب أولاً. هذا الصخب، هناك من يذبحه من أذنيه. يسيل الكذب كالدم لكن الصمم يبقى حديدياً وصارماً كقانون.

الإرادة تقتل أولاً. هناك ما ينبغي كسره لإخراج الحقيقة من الفكّين المطبقين. الصمت سيتحطم على الأسنان. سيكون هناك مزيد من الجلد والشعر لكن الجسد ثقيل بلا شيء. وزنه لم يعد مهماً.

يتكلمون عن حبال ملفوفة ومسدسات ووجوه بلا حجم مطبوعة على الحيطان. لكن الجريمة ترقص أحياناً وأحياناً تتظاهر، لديها ما تخفيه حين تتنكر بهيئة القدر. لقد تآمرت مع ملاك أو خنزير، ولا تذكر أيهما حمل السكين من السماء، ومتى كان أمر التضحية واضحاً.

المشيئة لم تتم وثمة اجتماع لـ 12 قاضياً وأمس دلف إليه إله مجهول. حِفل من اللحم يوضع على ميزان ولا يقابله في الكفة الثانية شيء. شرور العالم بلا وزن وكذلك الخوف، لكن الأصدقاء الموتى لن يشعروا بالشيخوخة وبعد 29 عاماً لن يجدوا في القبر شيئاً، مع أنهم أضافوا إليه شركاء جدداً لم يتعارفوا. الكتب التي جمعت لم تتعارف أيضاً. السرير، الذي طالما تمددت على جنبه الأيسر، يبدو الآن كعربة إسعاف. الكلاب تنبح للاشيء فآخر القتلة الذي جن يرى أشباح كلاب ذات أسنان طويلة. هذا يفسر أن الباص الذي سيحمل الجميع لا زال متوقفاً في السماء.

ثمة بقعة بيضاء تحته بالضبط
ثمة سترة بيضاء بلا ثقوب في الخزانة
وسترتفع عمودياً بعد حين
الجريمة لم تتحرر ولم يتم إنصافها
مع أنها ستظل تشع على طول مئة عام

تحت لافتة المجهولين

أصدقائي الموتى أبتلعهم وأمتص ذكراهم حتى لا يبقى منها سوى قشرة غير قابلة للمضغ. عندئذ سيكونون مشوا في دمي وذابوا فيه

صادفت لافتة تقول إنها لذكرى مجهولين قاتلوا تحتها. رحت أفكر بكل هؤلاء الذين حاربوا في حياتي. انغلبنا معاً وقمنا أخف من الهزيمة، لكن الأمر لم يعد يستحق بعد رحيل آخر القتلة. كل الذين ماتوا في سبيلي، أو سلموني حياة لم أحسن مضغها، أرادوني أن أقف من أجلهم تحت اللائحة

لا بدّ من بعض الوقت حتى لا يبقى شيء صالح للامتصاص إذ ينبغي أن تهمد الذكرى بدون أن تتعذب ثانية وبدون أن تبدي مقاومة. ستغدو صماء بالتدريج وبعد 29 عاماً لن يكون بقي شيء من الشعر أو الجلد. 29 عاماً كافية ليكون القبر اختفى. لتكون الصداقة تحررت من سوء الفهم والفشل المتلاحق، أو استمرت بساق وحيدة وبضع خياطات للقلب

إذا قدرنا أننا سنعيش وقتاً آخر عن أمواتنا فإن دلالي هذا المساء لن يبالوا إذ لم يجدوا شيئاً. سيستمرون في الرقص حول الحفرة التي تتمدد. سيزرعون فيها كثيراً من الميكروفونات.

أما أنا فلن يتعرف عليّ أحد كهارب رغم أنني لست الوحيد الذي عاش هذا العار. جرى تفكيك الجريمة وها هي تبتسم بأسنان الأشجار الجديدة والسماء التي بلا غيمة أو أي شيء. ها أنت تبتسم من الصورة بأسنان جديدة ونظارات أخرى. بدلتُ 3 باصات ومع ذلك ينبغي أن أصل بهندام جيد. سافرنا منفصلَيْن وها نحن نصل سوية لنتلقى جوائزنا

لم يكن هناك أجنحة محطمة بالطبع. كان علينا أن نعوم في الحظ السعيد والسخف الرائق تماماً.

كانت السماء وحيدة وتصلح خلفية للمشهد، عندما ذهبنا جميعاً، وأنت معنا، لنقف تحت لافتة المجهولين

كيلوات

«الألم يحجر ساقي»
الألم صبّة واحدة في ساقي
إن له ثقلاً
ويمكن أن نزنه بدقة
أحمل بضعة كيلوات في كل خطوة
أرفع كمية مساوية من العظام والألياف
حين أمشي على دمي
على مشط قدمي المليء بالوصلات
وأفكر أنني كلما خطوت
أطبع بلاطة على الرصيف
أفكر أن الألم داخل صعب
فالمهم هو كرة الجلد الميت
التي تلبسه كجورب
إنه يرتج كسلك
تاركاً خلفه حشوة هائلة
حين يختفي

*

يمكن أن نشكك بالألم
سيكون الأمر مخيفاً حين يغادر
سنخاف أكثر من الهدوء
الذي يلي
لن نكون موجودين فيه

*

يمكن أن نشكك بالألم
بالجسد
المشنوق الآن من يديه
بعد أن كان عابراً للهواء
الباقي ليس سوى بطن من القش
ليس سوى طباعة الجبس والسلاميات

*

سيزداد كل لحظة ثقلاً
وربما سيخاف من نفسه
سيكون على الميزان كومة اكسسوارات
أو خرابة من قطع الغيار
يقول الظهر
أحمل طناً على عمودي
يقول الرأس
عتبة في جبيني

*

حين وصلت إلى المستشفى
كان الألم ميتاً
والجسد يعمل كحفار بعشرين فولتاً
وسألت نفسي
ماذا فعل السرطان بخد بسام
ماذا كان يزن فيه

لوحة المفاتيح

كان جداراً فقط
جداراً عادياً كأي جدار
في الحجرة التي غدت شبه حجرة
ظهور متساوية متساندة
لم يبق سوى ثقلها وتساويها
مستقيمة كقانون
مستقيمة كحائط
لم يكن هناك سيد ثان
ظل الحائط هو الحاضر

*

ذكرى رقمية
البعض اختفى تحت رمز
أو علق في شكل هيروغليفي
مع نسبة من الغياب
للصداقة ذراع واحدة

*

هناك أيضاً عقرب كبير وسط ميدالية
بينما يستمرون في تفكيك الواقع
ونقله إلى كومبيوترات ضخمة
الذكريات مرئية من ظهورها
كما لو كانت جدراناً
أفكر أن هذا ليس حقيقياً
لقد أضفناه بعد أن رزمنا كل شيء
وبات العالم كله في بطن اللعبة
كان نوعاً من اختراع الخارج
بعد أن تعذر نقل الذكريات في حقائب
أو إجبارها على كشف وجوهها

*

ظهور متساندة متساوية
يدان اثنتان إحداهما تحمل الجوكر
الأخرى تحمل المصباح الإغريقي
كنا هناك مع لوحة المفاتيح الكبيرة
والجهاز الذي يوزع الدم في أنابيبنا
نسمع الكرات تدخل في ثقوب كالأفكار
والسقف يتحرك كرأس عمومي
كشاشة تتبادل الكرات

*

ثم ماذا
كان اللاشيء بين الجمل
وبين الشعيرات
ثم ماذا
كان الجدار في العين
كان الحجر في نهاية الرؤيا
ويمكن أن نزن القلب بحجر أيضاً
أو نزن السرطان

أربعة حدود

لديه أربعة جدران
يعرف كيف يجعلها حدوداً
يمشي عليها بدون أن ينقلب
أو يجازف بقفزة غير محسوبة
كان يقف ثابتاً فوق الصفر
ويتعجب من أنه لا يترنح
تحت وطأة شعور سيئ
أو رعدة قلب

*

هذا الجسد يتوازن وحده
وحتى بمعطف منزوع الشارات
إذ ليس مسموحاً له بأن يقع
جسد الأب الدركي المجلّد
أثناء الحراسة
كان يعرف أن هذه تمارين
القلق الليلي نوع من السير على الحبال
والوساوس مسائل حسابية
لا يخشى أن تغدره صيحة
ولا يخاف من قفزة في الظلام
كان يعود دائماً بأمان
لكنه يخرج كهارب
وفي الطريق لا يكون حراً
يتعجب من أن جسده يبقى واقفاً
حتى حين يترنح هو
ويقع في داخله
لا بدّ من أنه بهذه الرشاقة الظاهرة
يلعب عليه
حين يتوقع من نفسه أن تغلي
يجدها تمتص كل شيء بهدوء
كأنها تدبر أمراً
ثم يختفي كل اضطراب

ويعود سطحها متساوياً
وينقطع كل بلاغ أو خبر
لا يصطدم بحدوده الأربعة
إذ لا يكون الموت دائماً دركياً متقاعداً
لا يكون الحب دائماً
شجيرة برتقال
أما الذي ليس عصفوراً محنّطاً
ولا يحمل أنباءً لما بعد الطوفان
فهو يفضّل أن يأتي في رغيف طويل
أو قرص دو في دي

*

لا يصطدم بحدوده الأربعة
يده أمامه تقيس المسافات
وأحياناً تصنعها
اليأس وحده كان يغرد
مصعّداً من وقت إلى آخر
أنفاساً كبيرة

*

كان يجالس الكراسي
التي يتخيّل أنها ما انتهت إليه
أشكال بشرية
لمنتظرين قعدوا طويلاً
في ذاكرته

*

الموت لا يكون دركياً متقاعداً
ينام ليس في كل نفسه
فالرأس مكتب مضاء
وفي الحقيقة لا يزال يعمل
الصدر صيدلية واسعة
ولا تزال تتنفس
القلب ليس لشيء

إلا أن يكون مدخنة
وثمة هذه الأنا المعاقبة
بثياب تلميذة فوتت دروسها
في طابق مظلم
أحشاؤه، بطنه الصغيرة
كهف مليء بالكتب

*

كان يملأ رأسه بالوسكي
وصدره بالدخان
وقلبه بفراغ آخر
لكنه ينزل إلى الأسفل
حيث دفن شبابه القصير
ليواري شغفاً هارباً
تملّكه عند الفجر
قبل أن يصبح خطراً
هكذا يعود من جديد
مستقيماً على سطح واحد
هكذا يبلع غضبه
إلى آخر قطرة.

الحياة هربت

يستيقظ
فيجد الحياة هربت
يستيقظ كالعادة
فيجد الحياة هربت
لكن الأمر لا يهم
هناك قطع غيار بديلة
ولا يحتاج إلى كل هذه الوفرة ليعيش
الحياة كثيرة عليه

*

الأمر لا يهم
الألم سيحصل في الجدار
وسنطرد الحياة بفكرة ضدّها

*

لن يكون الأمر صعباً
مع تنورة جاهزة لتلعب دور الماما
ومفتاح في كعب الشجرة الآلية
مع صحف فرنسية كثيرة على المكتب
لا بأس إن انتهى الوقت
فالطاقة لا تزال في القنينة
إن انتهى الوقت
لن نكون أحياء تماماً
سنكون مبنّجين إلى الآخر ونطفو في الفضاء
مع دببة القش والحقائق الرخيصة
لن نذهب إلى أي مكان
ستبقى الأشياء سليمة كأنها غاطسة في الكحول
ونظيفة كأنها صالة مستشفى
لكن الحياة لن تكون أكثر من طابع
وحده العصفور المحنط سيقودنا
في هذا الخلاء الذي لا يطيقه
إلا الموتى والكتب

الأموات الذين يأتون كاملين
بأجسادهم التي لم يتطرق إليها الفساد
لم تعدهم الذاكرة فهم لا يتذكرون
لا الحنين ولا حفيف الشجر
لقد حُفظوا
كما حُفظ العقل أيضاً
في براميل كبيرة
من الويسكي

وباء

لم يلاحظ أحد أن للقادمين مشية القردة والدجاجة والخنزير، لكن القردة لم تقعد على العرش والدجاجة لم تتخذ قناع الممرض والخنزيرة لم توسخ المهد. لقد كانت هناك روح للهو والرغبة والبذل موجودة أفضل في علب العطور ويمكن تصميمها من جديد في معادلات كيميائية. لا بدّ أن روح الطائر الغريب تستعد للرجوع. قد تكون هذه عودة الآلهة.

حول الكتاب

نبذة عن الكتاب

في حديثه عن الصداقة وغيابها، عن الحياة والهواجس وبعثرة الأشياء بأدق أساليب اللغة، يتوغل عباس بيضون عميقاً في قصيدته.

يمارس عملين في القصيدة، إذ يكتب يفكر في الكتابة. وبقدر ما يغوص في نصه يبقى على مساحة منه لتتعادل الكتابة والإبداع.

قيل في الكتاب

«لعلّ جزءاً من حيوية هذا الشاعرمرتبط ببحثه المستمر عن مصادر ومكوّنات ومذاقات ومجاهل معجمية وتخييلية غير مستعملة لقصيدته». جريدة الأخبار

نبذة عن المؤلف

عباس بيضون شاعر وصحافي لبناني، مسؤول عن الصفحة الثقافية في جريدة السفير. ترجم شعره إلى الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والإيطالية والألمانية.

كتب أخرى للمؤلف

«مرايا فرانكنتشتاين»، «ب.ب.ب»، «بطاقة لشخصين»، «الموت يأخذ مقاساتنا»، «ألبوم الخسارة»